منهج العلامة الثعالبي في التصوف من خلال كتابــه "ريــاض الصالحين وتحفة المتقين"

د. حبيب بريك الله

أستاذ محاضر بالمركز الجامعي لتندوف

بداية أتقدم بجزيل الشكر لمن شرفوني بالدعوة إلى المشاركة في هذا الملتقى العلمي الميمون، وأخصّ بالذكر سعادة المحترم الدكتور عصام طوالبي الذي أولى في هذه الأعوام الأخير اهتماما بالغا بتراثنا المخطوط وبتراث جدّه العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي رحمه الله، مما ترك جميل الأثر في نفوس أهل الاختصاص، ومن جميل الذكر في المحافل العلمية الدولية والوطنية. فالعناية بالتراث عناية بالتاريخ، والعناية بالتاريخ تأسيس للمستقبل، والمستقبل الناجح هدف لكل ناجح، ولا يخفى عن القارئ ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من القصص الأوّل، وكل ذلك إنما هو للاعتبار وتصحيح المسار، وأخذ العبرة والتأسي بأخلاق الرجال ومكارم أخلاق العلماء، ولنا في سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله أكبر مثالا على ذلك.

يعتبر علم التصوف والوعظ والزهد من بين أكثر الفنون التي خاض فيها علماؤنا وأسلافنا وألّفوا فيها العديد من الكتب والرسائل، والتي لازال معظمها بين دفّات المخطوطات المتناثرة بين رفوف هاته الخزانة وتلك. وتعتبر هاته المخطوطة التي بين أيدينا - رياض الصالحين وتحفة المتقين - من أهم التآليف التي سخت بها

المنارة للاستشارات

أنمل العلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله في علوم شتى، كالزهد والوعظ والتصوف والحديث، وأحوال الموتى وأهوال يوم القيامة، وعن أولياء الله وأحوالهم وقصصهم وحكاياتهم مع غيرهم، فلم يترك العلامة الثعالبي رحمه الله من إشارة ولا فائدة ولا لطيفة إلا وأشار إليها بغية أن تعمّ الفائدة ويتّضح المعنى.

وقد عملت جاهدا على تحقيقها و دراستها وتخريجها، لكي لا تبقى حبيسة الرفوف والخزائن مثلها مثل مثيلاتها من المخطوطات المتناثرة بين رفوف وجدران هاته الخزانة أو تلك الزاوية، أو تحت رحمة عقول لا تدري ماهية المخطوط ناهيك عما تحويه من علوم ومعارف نفسية. وقد ارتأينا أن يخرج هذا العلم الوفير والكنز الدفين من صفحات مخطوطة لا تلبث، وأن تكون طعاما للأرضة أو وقودا لمدفأة، فحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا بد للإشارة من باب الأمانة إلى وجود بعض الحكايات التي ربما تسوقنا إلى الاستغراب عند قراءتها أو الوقوف عند مصادرها، وربما يقول قائل: هي من شطحات الصوفية، والله تعالى أعلى وأعلم وهو يهدي السبيل.

ولعل من بين الأسباب التي دفعتني أيضا إلى تحقيق وإخراج هذين الجزئين من كتاب العلامة عبد الرحمن الثعالبي هو ما تحويه من فوائد جمة في جميع جوانبها الدينية، من كثرة إيراد آياتها وأحاديثها الصحيحة، ونقولها الكثيرة عن كتب علمائنا الأجلاء، كالغزالي وابن أبي جمرة والقرطبي وغيرهم رحمهم الله ورضي عنهم. ولنقل كذلك ماهية الأسباب والدوافع التي تركت العديد من الباحثين والمهتمين بالتراث الجزائري يغفلون عن نشر كنوز كتب هذا العلامة الكبير . ثم مساهمة مني في نشر تراثنا الإسلامي الذي يزخر بكنوز بين طيات مخطوطاتنا والتي لا يعرف قيمتها إلا من خاض غمار أبحرها واكتشف مكنونات جوهرها.

أما إذا أردنا الحديث عن المخطوط الذي بين أيدينا، فهي نسخة كاملة تامة مملوكة لدار نشر وطباعة جزائرية تملكتها بالشراء، وقد كُتبت بخط مغربي دقيق جيد، بحبر أسود والفواصل والعناوين باللون الأحمر.

المنارة للاستشارات

- **موضوعه** : التصوف والوعظ والرقائق.
- **عدد الأوراق** : 210 ق.
- **مسطرتها** : 22 س.
- **عدد الكلمات** : 20 كلمة بالسطر.
- **نوع الورق** : من العاغد العادي.
- **مقاسها** : 30/17 سم.
- **مقاس النص في الورقة** : 24/11 سم.
- **التجليد** : مستحدث
- **بها نظام التعقيبة.**
- **لا توجد بها لا تملكات ولا سماعات ولا قراءات.**

إن المتصفح والمتمعن في كتب العلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي سيدرك لا محالة اليقظة العلمية في التعامل مع المصادر والروايات والقصص وغيرها من منابع التوثيق.

وهاهو العلامة الثعالبي يعلّمنا كيف نتعامل مع المصادر التي وثقت الأحداث وبعض القصص الواردة في كتابه *رياض الصالحين وتحفة المتقين*، من خلال إظهار منهج التعامل مع الروايات الشفوية والاسرائليات التي ضمنت العديد من كتب التراث الإسلامي العربي. حيث يشير العلامة الثعالبي إلى ذلك بقوله[1]:

"ولقد وقفت على كتاب سماه صاحبه *بتلبيس إبليس*[2] فذكر أنواعا من الكلام، ثم جعل يقع في أكابر العلماء الذي جمعوا بين العلم الظاهر والباطن المجمع على فضلهم؛ فوقع في الغزالي وفي المحاسبي وأبي القاسم القشيري، وطعن على أبي نعيم الحافظ وعلى حليته وعلى أبي عبد

---

[1] انظر: عبد الرحمن الثعالبي، *رياض الصالحين وتحفة المتقين*، تحقيق بريك الله حبيب، ط1، 2014،ص: 146.

[2] يقصد هنا الإمام العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي التيمي البكري إلا أنه في وقتنا هذا مازال منسوب إليه.

المنارة للاستشارات

الرحمان السلمي، وبالجملة طعن على هؤلاء وضربائهم المجمع على فضلهم في زماننا هذا. ولما وقع شيخنا أبو مهدي عيسى الغبريني خاتمة علماء إفريقيا على هذا الكتاب وتأمّله ألقاه من يده وقال له: "عليك والله لبس إبليس يا مسكين"[1].

ويشير العلامة عبد الرحمن الثعالبي إلى مكانة الكتاب هذا عنده فيقول:

"ورأيت هذا الكتاب هناك مهجور لا يُلتفت إليه، وزعم كاتبه أنه للجوزي وليس هو إن شاء الله بالجوزي صاحب *المورد العذب* الذي ألّف كتبا عديدة في المواعظ وحكايات الصالحين، وحاشاه أن يُنسب إليه ! بل هو مناقض له" .

وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على أن العلامة عبد الرحمن الثعالبي لم يوافق هذا الكلام فطرته العلمية النقيّة التي لا تقبل في أقلام غيره من العلماء الصالحين العاملين أي قدح ولا خدش، فيفند هذا الرأي ويخالفه لأنّه يعي جيّدا من هو صاحب كتاب *المورد العذب* ولا يجوز في حقّه مثل هذا الكلام.

وإليك أخي القارئ نبل أخلاق العلامة عبد الرحمن الثعالبي وقمة التسامح وتواضع العلماء العاملين الكتاب ما نصه:

"ولمّا تأملت كلام هذا الشخص وجدته ينحو إلى مذهب الظاهرية فلم أشك أنه ظاهري، ولم أر له ذوقا في طريق القوم، نسأل الله أن يعفو عنا وعنه وأن ينجينا وإياكم من الوقوع في أوليائه ! وإذا لم يفتح للعبد بما فتح الله به عليه من جزيل مواهبه، فلا أقل من حسم الاعتقاد والتصديق بما يذكرونه من المواهب الربانية والتسليم لهم، وحذاري حذاري من هذا الكتاب المذكور ! ولمّا وقف علي بعض الطلبة بهذا الكتاب المذكور حذّرته منه وخوّفته من مصيبة عاجلة تقع به، فلم يكن إلا ليلة أو نحوها إلاّ وأصابته محنة فأُدخل السّجن وامتحن محنة ما رأى مثلها في عمره، ولا يعترض على السّائحين منهم وأهل التحقيق لما رواه البخاري وغيره عن ابن عمر رضي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **"لو يعلم الناس ما في الوحدة ما**

[1] انظر: عبد الرحمن الثعالبي، *رياض الصالحين وتحفة المتقين*، ص: 146.

المنارة للاستشارات

أعلم ما سار راكب بليل وحده"[1]. قال ابن أبي جمرة: هذا الحديث ليس هو على العموم لكل الناس وإنما هو للعوام وبعض الخواص ممن هو متردد في حاله وأما من كان من الخواص المتحققين فليس يتناوله لأنه ورد فيمن كان وحده وهذا ليس وحده يدلّ على ذلك قوله ﷺ :"أنت الصاحب في السفر"، وقوله ﷺ إخبارا عن ربه يقول: **"أنا جليس من ذكرني"**، والخواص لا يزالون في الذّكر؛ فإذا حصلت صحبة مولاه ومجالسته في سفره فهي الطريقة المباركة ومثل ما نحن بسبيله قوله تعالى: **{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}** (البقرة: 197)، فأمر تعالى بالزاد عموما، ثم نبّه لأهل الخصوص لإعلاء الزاد وهو التقوى، فمن كان من أهل التقوى فقد أخذ بأعلى الزاد وهو النّقى، ومن لم يكن له تقوى فلا يجوز له السفر إلا بالزاد المحسوس، فإن سافر دونه كان عاصيا ودخل في عموم قوله تعالى: **{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**"[2]

ليخلص في الأخير إلى قوله:

"وبالجملة فلا ينبغي الاعتراض على أولياء الله تعالى، ولله در أبي العباس الغبريني لما ذكر كرامة بعض الأولياء في كتابه *عنوان الدراية*[3] قال: "وقد يقع في هذا إنكار من ملحد لا علم له، وحقّه الإعراض عنه

---

[1] الحاكم حديث: 2493، ج: 111/2 ونصه كاملا بالسند : حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق أنبأ أبو المثنى ثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل ثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: قال سمعت أبي يقول : قال : ابن عمر رضي الله عنهما قال نبي الله ﷺ: **"لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم لن يسير الراكب بليل وحده أبدا"**. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه صحيح.

([2]) سورة البقرة، الآية: 195.

([3])ويقصد به كتاب : الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لصاحبه علامة أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله *الغبريني* الجزائري.

المنارة للاستشارات

وعدم الالتفات إليه، وإن راق فيصفع وجهه عوضا عن قفاه كما جمع الله له الجزاء في أولاه وأخراه"[1].

وعن حديث عن حقيقة الكرامة يأتي العلامة عبد الرحمن الثعالبي بنصوص كثيرة لبعض علماء الأمة كالقشيري وأبي الحسن الشاذلي وابن عباد، وهذا نص لإبن عباد حيث يقول فيه:

"ثم ما ظهر للعبد من الكرامة لا يسكن إليه ولا يعول عليه فإن ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالب الإستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة،قال ابن عطاء الله في الحكم[2]: " تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب".

قال القشيري في رسالة: "ظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله وذكر عن شيخه وجوب ستر الكرامة وإخفائها وإن الولي لا يدعيها ولا يقطع بكونها كرامة بجواز أن يكون ذلك مكرا واستدراجا ثم قال واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر ولا ملاحظة ربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله سبحانه فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد.

ثم قال:" وكل كرامة لولي فإنها من معجزات نبيه إذ لو لم يكن ذلك الرسول سابقا لك نظهر على من تابعه كرامة وكل من ليس بصادق في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة.

ثم قال:" والكرامات أنواع فقد تكون إجابة دعاء أو ظهور طعام في أوقات فاقة أو ماء في وقت عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة واعلم من

([1])انظر: عبد الرحمن الثعالبي، رياض الصالحين وتحفة المتقين، تحقيق بريك الله حبيب، ط1، 2014،ص: 148.

([2])الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري.

المنارة للاستشارات

أجل الكرامات للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات"[1].

وفي ذلك قال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: وفائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى أيستوي من تعرف الله إليه بنوره كمن تعرف الله بعقله ولأجل أنها تثبيت لمن ظهرت له ربما وجدها أهل البدايات وفقدها أهل النهايات لما هم عليه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى مثبت إذ لا يحتاج الجبل إلى مرساة الكرامات رافعة لزلزلة الشك فضلا من الله سبحانه فيمن أظهرت عليه وشاهدت له بالإستقامة مع الله سبحانه وتعالى.

وهنا يعلق العلامة الثعالبي على هذا الكلام بقوله:" قلت: والكلام في كرامات الأولياء واسع رحب ولم يفتح لهم في تلك الخيرات حتى سلكوا باب المجاهدات ففتحت لهم أبواب الهدايات كما أخبرنا في كتابه مولانا".

التصوف عند الثعالبي من خلاله كتاب رياض الصالحين وتحفة المتقين

وإذا أردنا الحديث عن تصوف العلامة الثعالبي من خلال كتابه رياض الصالحين وتحفة المتقين والذي جمع فيه الكثير من مظاهر وروايات التصوف في المجتمع الجزائري والمجتمعات الاسلامية الأخرى فإننا سوف نستظهر أهم ما جاء في هذا المخطوط الذي وفقني الله لاخراجه لعالم المطبوعات بعد ما كان مخطوطا حبيس الرفوف .

ويأتي تصوف الثعالبي في أسس وأطر التصوف الإسلامي الصحيح الذي يستند أصوله من الكتاب و السنة و يستوحى قواعد تصوفه من المدرسة الغزالية التي كانت سائدة آنذاك، وقد لمسنا من خلال كتابه رياض الصالحين وتحفة المتقين كثرة ايراده لأقوال الغزالي من خلال كتابه احياء علوم الدين، والعلامة القرطبي في تذكرته، والعلامة ابن أبي جمرة في كتابه المشهور بهجة النفوس

([1])انظر: عبد الرحمن الثعالبي، رياض الصالحين وتحفة المتقين، تحقيق بريك الله حبيب، ط1، 2014،ص: 159.

المنارة للاستشارات

وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ، وما دفع العلامة الثعالبي المتصوف إلى سلك طريق التصوف والزهد هي حالة عصره التي راجت وقتئذ.

وتتمثل في الركود والجمود والضعف في كثير من المجالات السياسية والدينية والضياع الاجتماعي، وانتشار علامات البذخ والانحلال في المجتمع الجزائري التي حملها النازحون من بلاد الأندلس. فجاء تصوف الثعالبي منافيا للفتن والأجواء السياسية والمجادلات العقلية والعصبيات المذهبية التي ينكرها العقل القويم وتسأمها الفطرة السليمة لا سيما ما كان منها يعود إلى الحياة الاجتماعية والحضارية عامة من ألوان الترف والبذخ والمجون والاشتغال بسفاسف الأمور.

وللتصوف علامات كثيرة ومناهج متفرقة تعتمد اعتمادا كليا على انكار الكثير من الممارسات المنافية للتعلق بعوالم الفناء والغفلة عن حب الله والحياة الآخرة. ويدعوا في المقابل إلى الكثير من الممارسات التي تسلك بالمريد إلى باب التصوف السني السليم منها الزهد والورع والخلوة وكثرة الذكر واجتناب المجادلات العقيمة المفضية إلى باب المراء والرياء وغيرها مما لا يسع المجال للتفصيل فيه.

كما أن للتصوف أركان أربعة وهي الصمت والعزلة والجوع والسهر وقد جمعها الناظم في قوله:

بيت الولاية قسمـــت أركانه ساداتنا فيـــــه مـن الأبــدال

ما بين صمت واعتزال دائـــم والجوع والسهر النزيــه الغـالي

وكلها أتت في فصول وأبواب كتاب رياض الصالحين للثعالبي سوف نوردها كالتالي:

يقول الثعالبي في كتابه عن ركن الصمت **ما يلي:**

قال : حميد بن هلال : قال لي الربيع بن خشيم: " عليك بكثرة الصمت وطول الصلاة والخشوع لله سبحانه فيها والخضوع له واعلم أن في الجنة دار ما بين بابيها كما بين المشرق والمغرب من لؤلؤة صفراء مجوفة فيها قصور وبيوت من ياقوت أخضر وأحمر وأبيض

المنارة للاستشارات

أعدها الله للمتقين قلت : ومن المتقين ؟ قال : الذين اتقوا سخط ربهم، ثم قال لي : يا أخا بني عدي عليك بتلاوة القرآن وأكثر الفكرة فيه فإن فيه عبرا وأمثالا لمن أعتبر واتعظ وخاف واحذر ولاستكثرت المعروف فمن يفعله واعلم أن المعروف سقس مصارع السوء، واعلم أن أعلم الخلق بالله أكثرهم خوفا من الله. وعن يزيد بن نافع قال : كان الربيع بن خثيم:" أخشع الناس أصمتهم إلا من خير وكان لسانه لا يفتر على الذكر".

❖ **يقول الثعالبي في كتابه عن ركن الاعتزال ما يلي:**

قال الحسن:" مكتوب في التوراة:" الغنيمة في القناعة والسلامة في العزلة. يقول الثعالبي في كتابه عن ركن **السهر** ما يلي:

" وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا بطهارة الظاهر والباطن وإن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ولست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه ولا تبعث من نومك إلا على ما غلب على قلبك في نومك ". انتهى كلام الثعالبي.

❖ **أما عن ركن الجوع فيقول:**

" واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضاء الحاجة فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم وأما قدره فإن لا تزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا تطلب اللذائذ من الأطعمة بل تقنع بما يتفق فإن قدرت على هذه الثلاث وأسقطت عنك مؤنة اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك ألا تأكل إلا حله فإن الحلال يعن ولا يفي بالشهوات."

المنارة للاستشارات

وسوف نبدأ بمقدمة الكتاب الذي ابتدأه العلامة بوجوب ذكر الموت واستظهاره على عامة فكر المؤمن والتفكر فيه وفيما بعده من حساب وعقاب وجنة ونار، وهذا من عالم عوالم التصوف السني السليم الذي يدعوا الى ترك عالم الحيوات وما يعتريها من ملذات فانية ولحظات وقتية آنية قد تذهب بفكر المؤمن المخلص في طاعة ربه إلى حب الدنيا واغفال الآخرة فيقول العلامة ما نصه .[1]:

"يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه عبد الرحمن محمد بن الثعالبي لطف الله به أما بعد أيها الأخ المسترشد السائل عن وجه خاصة وما يقربه من ربه أشرق الله قلبه وقلبك بأنوار اليقين وجعلني الله وإياك من أوليائه المتقين فيجب عليك المبادرة إلى الخيرات قبل هجوم صولة الممات واستعن بالله سبحانه والجأ إليه في جميع أمورك بصدق وإخلاص فيه ومراقبة وأكثر في ذكر الموت والفكرة فيما بعده واعلم أن من آمن بالآخرة وصدق بالانتقال إليها وعلم أن الموت مصرعه والتراب مضجعه . أنيسه ومنكر ونكيرا جليسه والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده ومنزله بحقيق أن لا يكون به فكر إلا في الموت وأن لا يحدث نفسه إلا به ولا يستعد إلا لأجله وأن لا يدبر إلا فيه وأن لا يعرج إلا عليه ولا يحوم إلا حواليه".

وقد جاء التصريح بذكر تصوفه في قوله من خلال الفصل الأول من الكتاب ما يلي:

" وقد سميت كتابي هذا **برياض الصالحين وتحفة المتقين** جمع فنونا من العلوم وفوائد جمة لمن يريد حرث الآخرة، وأسأل الله أن ينفعني وإياكم به ويجعله عملا خالصا لوجهه ومبلغا إلى مرضاته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ".

(1) انظر ، عبد الرحمن الثعالبي، رياض الصالحين وتحفة المتقين، ص: 21، دار الوعي، 2015.

المنارة للاستشارات

❖ **الدعوة إلى اصلاح النفس:**

يدعوا العلامة المتصوف الثعالبي رحمه الله في كتابه إلى ضرورة اصلاح النفس وحثها على التهيؤ لدار المعاد حيث يقول:

"فيجب على العبد مبادرة بإصلاح نفسه وأخذه زاده والتهيؤ لمعاده وذلك بالتوبة النصوح ورد المظالم واجتناب المحارم ومجاهدة النفس الأمارة ومحاسبتها والتضييق عليها والندم على ما فات والعزم على أن لا يعود إلى السيئات، ويسأل الإنسان على وجه خلاصه في جميع أموره حتى يكون على الاستقامة ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ولا يعذر أحد بالجهل . قال الله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**[1] .

❖ **الدعوة إلى محاسبة النفس:**

"فإن أردت نجاة نفسك فلا تغفل عن محاسبتها ما دمت حيا، قال الغزالي[2]:"**واعلم أنه لا ينجو من خطر الحساب والميزان إلا من حاسب نفسه في الدنيا ووُزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخصراته ولحظاته** ". قال الغزالي في الإحياء والقرطبي في تذكرته:" يجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر τ :" حاسبوا أنفسكم وزنوها قبل أن توزنوا "[3]. وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط فيه من تقصير فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له

([1]) **سورة النحل ، الآية: 44 وتمامها قال تعالى: :(بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**

([2])**هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدِّينِ الطوسي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب " إحياء علوم الدِّين"، ت: 505هـ . وفيات الأعيان:216/4.**

([3]) **الترمذي: ح: 2459، وجاء الحديث بلفظ: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على حاسب نفسه في الدنيا".**

المنارة للاستشارات

بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويُطيب قلوبهم حتى يموت ولم يُبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يرجا من الله سبحانه أن يدخله الجنة بغير حساب[1]. قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى :" **ولا يحمل المرء على هذه المحاسبة والمراقبة إلا الخوف من الله عز وجل والإجلال له وقوة اليقين ولهذا المعنى كافٍ**".

❖ **الدعوة إلى تقوى الله في السر والعلانية وبعض مكارم التصوف:**

" وهذه وصية من بعض أولياء الله العارفين يقول فيها :" أوصيك يا أخي بتقوى الله العظيم في السر والعلانية، وحفظ الحواس ومراعاة الأنفاس وقلة المخالطة للناس، والرضا بالموجود والصبر علن المفقود والوفاء بالعهود وكثرة الركوع والسجود، وترك التبرير والاختيار مع المربي المختار، والعمل بالسنة والإقتداء بالأئمة والحركات والسكنات بالنية ولزوم الخلوات والجوامع ومواصلة الفقير الجائع، وموافقة المتبتل الطائع ومجالسة المنيب الخاشع ومعاشرة الوفي الخاضع وزيارة الساجد الراكع. وكن جوال الفكر جوهري الذكر كثير العلم عظيم الحلم واسع الصدر ضحكك تبسما واستفهامك تعلما مذكرا للغافل معلما للجاهل لا تؤذي من يؤذيك ولا تدخل فيما لا يعنيك لا تشمت بمصيبة ولا تلوث لسانك بغيبة وكن صادق القول بريا من الجهل وقافا عند الشبهات كثير العطايا عوانا للغريب أبا لليتيم بُشراكَ في وجهك حزنك في قلبك مشغولا بفكرك، لا تكشف سرا ولا تهتك سترا، وكن كثير العبادة آمن الجانب طويل الصمت تحمل أذى من جهل عليك، صبورا على من أساء إليك، ترحم الصغير وتوقر الكبير أمينا على الأمانات بعيدا عن الخيانات، صبورا عند الشدائد قليل المؤنة كثير المعونة، طويل القيام كثير الصيام تصوم رغبة وتصلي رهبة غاض الطرف، لا ترد السائل خائبا متواصل الأحزان كثير العمل قليل الزلل، أديبا مع الأولياء كلامك حكمة ونظرك عبرة تقبل العثرة ولا تكشف العورة لا لعانا ولا سبابا ولا حقودا ولا حسودا"

واطلب من الأمور أعدادها وأعمر الأرض بجسمك واسكن المقابر بقلبك وألبس قميص التواضع وجرد ثياب المطامع وتوكل على المدبر الصانع وتنزه عن

([1]) **الإحياء:308/1.**

المنارة للاستشارات

مشاكلة المصانع واقتد بمن اختاره السير الشافع وملأ بالصلاة والسلام عليه أشرف المواضع صلى الله عليه وعلى آله في ما همع غيث، وبرق لامع، واحذر من طرقات هواك ولا تعول على غير مولاك، وبث عند بابه شكواك، وإياك والركون إلى غيره، إياك وعلق به في كل الأحيان رجاك، وتأنس به في حضرتك فإنه يسمعك ويراك، وخل عنك ما ضمن لك من دنياك وعمر باطنك على الدوام بأخراك، وواصل بدعوتك الإخوان وتكرم عليهم بالضراعة في السر والإعلان، وراغبه في صلاح أحوالهم فمولاك محسن منان فإن عملت بمقتضى هذه الوصية نلت من الله الدرجات العلية، وأورد عليك الإكرام في كل قضية".

المنارة للاستشارات

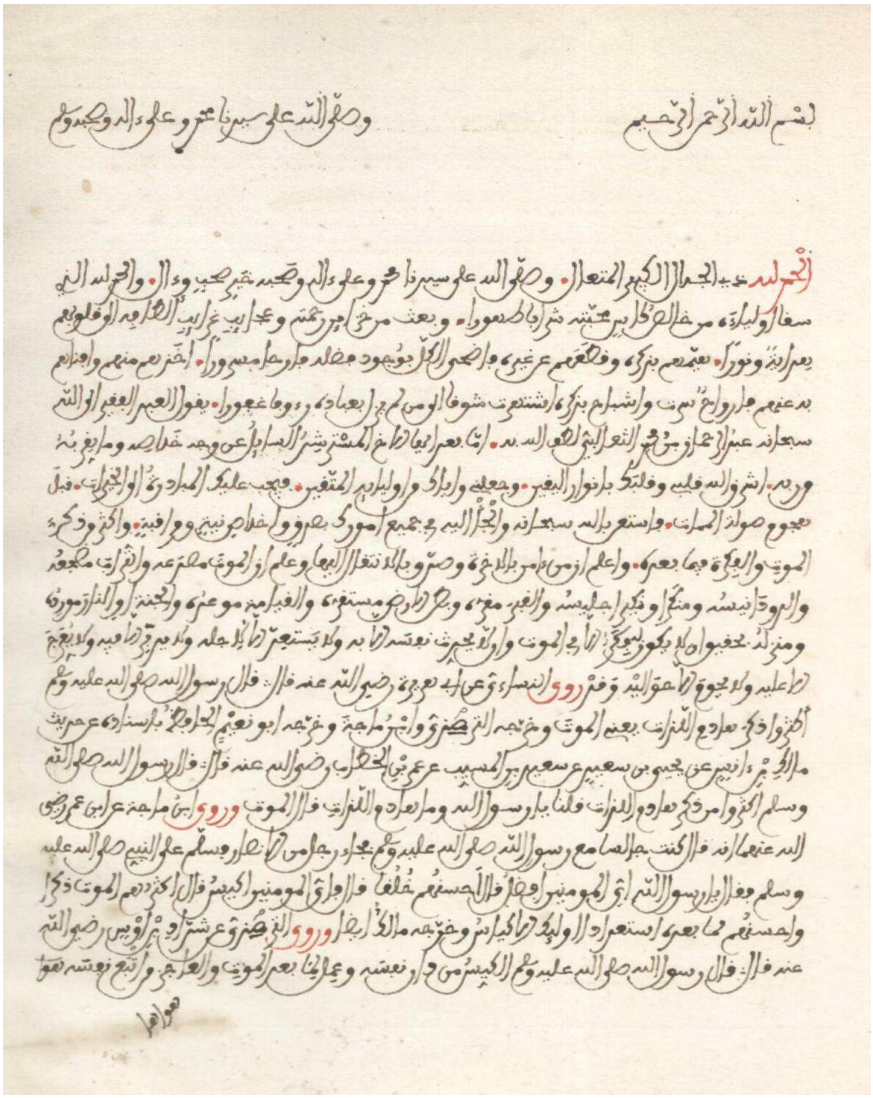

الصفحة الأولى من المخطوط

المنارة للاستشارات